

- لا .. العفو يا شيخنا بس مش عارف ابدأ منين.
- طيب بص .. بلاش شيخنا وكدا اسمي أحمد وعندي 26 سنة مش عجوز يعني ومش متجوز ورقم بطاقتي تعتمد الإمام أن يمزح مع يوسف ليطمئن قلبه، وهذه من حكمة الدعوة أن يجد الداعي المدخل المناسب للمدعو.
- تبسم يوسف ضاحكاً من قول إمام المسجد وبدأ يفرغ ما في قلبه ... شعر بأنه يزيل ما بقي له من ذنوب.
- أخذ يوسف يقص على الشيخ أحمد ما مر به منذ دخوله الجامعة ومصاحبتة للفتيات والكلام معهن وجميع مامر به ... منهياً كلامه قائلاً :
- هو ربنا ممكن يغفر لي بعد كل اللي عملته ده؟

الفصل الثالث والعشرون

(حياة جديدة)

- بكي الشيخ أحمد على بكاء يوسف ... يشعر بصدق توبته من حديثه هداً قليلاً ثم رتل قائلاً:
- " وهو الذي يقبل التوبة عن عبادة ويعفو عن السيئات " .
- بس أنا عصيت وارتكبت ذنوب كثير ...
- ليكمل الشيخ أحمد الآية قائلاً:
- " ويعلم ماتفعلون " ثم تابع قائلاً:
- من رحمة ربنا على عباده يا يوسف إن ربنا سمى نفسه الغفار الغفور الرحيم التواب ... الله يدعو عباده ليتوبوا فيتوب عليهم ويغفر لهم بل يبدل سيئاتهم حسنات ربنا قال " يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم " .
- " يريد الله أن يتوب عليكم " فلا بد من الرجوع إلي الله الله يحبك ويريد لك التوبة فاقبل عطاء الله لك ..
- طيب أعمل إيه عشان أحفظ نفسي؟
- عليك بالصحة الصالحة والبيئة الصالحة والمنهج الصالح تلك أسباب صلاح النفس ...
- إوعى ترجع لصحبة فادي صاحبك ده واستغفر على اللي عملته مع سوزي وألجم نفسك بإيمانك يا يوسف .. النفس تحب الفجور قبل الطاعة ولكن إن خالفتها فربنا أعد لك الجنة
- "فأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى* فإن الجنة هي المأوى".
- يا نفس توبي فإن الموت قد حانا .. واعصي الهوى فالهوى مازال فتّانا
- يا نفس، ألا تريدن الجنة؟، والله لأقهرنك على طاعة مولاي ، فإنني بذلك أكرمك لا أهينك، فإني إن أطعتك يانفس وقعت في قعر النار ، والرسول يقول: " يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث أصلح لي شأني كله ولا تكلني إلي نفسي طرفة عين"، وربك يقول " ونفس وما سواها* فآلهمها فجورها وتقواها* قد أفلح

من زكاها".

فإني ورائك يا نفس بالكرباج ، وربك خلفك بالمرصاد، لأدخلنك الجنة بلا خزي ولا أصفاد.

ولأخالفن الهوى والشيطان وأترك حظي من الدنيا حتى أنال حظي في الآخرة.

اقرأ يا يوسف على نفسك كلام الله - تبارك وتعالى - وحصنها بالذكر والقرآن فستجد نعيماً دائماً ولذة بداخلك أعظم من لذة أهل المعاصي بمعاصيهم... تحصن بربك، واتق الله في شرك وعلتك، وأحسن فيما بقي يغفر الله لك ما مضى؛ فيكتبك الله عنده من المقبولين، وإياك يايوسف أن يراك الله على ما يكره، وإن وقعت فقم واستغفر وتب، وارجع إلي ربك من جديد.

أنهى الشيخ أحمد حديثه ليجد يوسف في حالة من البكاء علم الشيخ أن تلك هي التوبة الصادقة فربت على كنفه ليبشره قائلاً:

-- اعلم يا يوسف أن تلك الدمعات لها قدر عند الله - تبارك وتعالى - ..الآن الله يفرح بتلك التوبة الصادقة، ولكن أحذر نفسي وإياك من ذنوب الخلوات فهي تأكل الحسنات كما تأكل الدابة المنسأة. أحد الصالحين ذهب إلى الإمام أحمد بن حنبل وقال: سمعت خطيب مسجد يقول تلك الأبيات، فما رأيك يا إمام؟.....فقال: وماهي - يرحمك الله -؟.

فقال الرجل: ...

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل خلوتُ ولكن قل عليا رقيبُ

ولا تحسبن الله يغفل ساعة ولا أن ماتخفيه عنه يغيبُ

الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين...فلماذا تجعل الله أهون الناظرين إليك

فدخل الإمام أحمد غرفته وأغلق على نفسه وظل يكرر تلك الأبيات ويبكي بكاءً شديداً. فتابع الشيخ أحمد حديثه قائلاً:

- ده حال اللي قبلنا يا يوسف فأين نحن الآن؟.

بكي يوسف حتي احتضنه الشيخ أحمد معلناً توبته لله.

- والله راجعلك خلاص يارب والله تبت ليك خلاص.

أنهى يوسف جلسته مع الشيخ أحمد ليترك الشيخ وحيداً في المسجد:

- ماتعرفش يا يوسف أنينك ده أعظم عند الله من تسبيح المسبحين ...اللهم ثبته يارب، قالها الشيخ متمنياً ليوسف الثبات والاستقامة.

يرجع يوسف إلى بيته فيجد والده في انتظاره فيسرع يوسف في تقبيل يد والده راجياً منه أن يسامحه ويعفو

- سامحني يا بابا والله أنا خلاص اتغيرت ماتزعلش مني.

- الحمد لله يا بني ...فرحتي ما تتوصفش بيك النهارده ...ربنا يسامحنا جميعاً يارب أهم حاجة يا بني ماتعملش زي المرة اللي فاتت لا قدر الله وترجع تاني.

- لا يابابا ماتخفش المرادي بجدموت إسلام - الله يرحمه - فوقني أووي.

تدخل الأم حاملة في يدها فنجاناً من القهوة قد أعدته لزوجها.

- الحمد لله يارب استجبت لدعائي .. الحمد لله يارب قالتها الأم وهي تبكي ويوسف بين ذراعيها.

قبل يوسف يد والدته ورأسها طالباً منها أن تسامحه وتعفو عنه فيما مضى ..

عمت الفرحة أرجاء المنزل بتوبة يوسف وعودته إلي الله

يذهب يوسف ليطمئن على أختهكم تمننت سديم أن تراه تائباً راجعاً لله!.

يدخل يوسف إلى غرفة أخته فيجدها على غير عاداتها... ينظر إليها ولا يصدق ما تراه عينه... تكاد الصدمة أن تفقده وعيه ..

- تعالى ادخل يا يوسف قالتها سديم.

دلف يوسف غرفتها وجلس أمامها متعجباً كيف هذا وقد تركتك أمس في عالم الأموات؟

- ماتتغربش أوي كدا يا يوسف ... الحمد لله الذي رد عليّ عافيتي، قالتها سديم وهي مطمئنة النفس.

- طيب إزاي أنتِ إمبراح كنتي في دنيا تانية؟

تنهدت قليلة ثم قالت:

- إمبراح يايوسف شوفت رؤيا إن شخص معرفهوش لابس عمامة بيضا وقميص أبيض بياخد بأيدي وإنه

بيحميني من حاجة وبس سابني ومشى وقالى هرجلك بس تكوني أما تجهزي ..بس وصحيت على أذان

الفجر

ابتلعت غصتها وقالت:

- مش هنكر إن قلبي دق لإسلام - الله يرحمه - واتمنيته وحسيت بجد بكرم ربنابس ربنا اسمه المدبر

وأكيد ربنا ليه حكمه في كدا يمكن كنت تعبته بعد الجواز أو أي حاجة ...كان شاب بصراحة أحسبه على

خير ولا أزكي على الله أحداً ربنا يتغمده برحمته.....

يمسح يوسف تلك الدمعات التي أسقطتها سديم على وجنتيها ...

- ربنا هيكرمك بالأفضل يا حبيبي والأحسن - إن شاء الله -.

ثم تنهد قليلاً ليترك العنان لقلبه ليوح عما بداخله:

- أنا عارف إنك تعبتني مني ومن أفعالي عمري ماكنت الأخ الحنين ليكي، عمري ماقولتلك مالك في إيه؟

ز علانه من إيه؟ ، بالعكس كنت أنا سبب في زعلك حتى مريم صحبتك أما حبيتها وقررت ألترم في الأول

سافرت لإنني ما استحقهاشعارفة موت إسلام صحى فيا حاجات كتير جدا ماتت جوايا ...شيطاني

ونفسي كانوا أقوى مني وإسلام - الله يرحمه - مكشش ببيأس معايا لإنه كان بيحبني لدرجة إنه كان

بيتصدق باسمي عشان ربنا يهديني كل ده عرفته بعد أما مات ...

بكي يوسف على فراق صديقه ثم تابع قائلاً:

- عشان كدا أنا عاوز أبندي حياة جديدة مع ربنا ومع نفسي ومعاي ومع بابا وماما ...عاوز أعيش حياة

جديدة ... تنهد يوسف قليلة ثم ابتلع غصته ونظر إلى سديم وقال:

- إنتي بالذات ممكن تسامحيني على كل حاجة عملتها معاكى؟ ...وتريقني عليكى وعلى نقابك بدل ما

أكون ليكي سند؟ ...بدل ما أشجعك كنت بكسركلم يستطع أن يكمل حديثه فترك العنان لدمعائه تعبر

عما يشعر به من الأسى ...ثم تابع قائلاً:

- أوعدك هعوضك عن كل حاجة فانت ... قالها يوسف ثم قبل سديم.

لم تتمالك سديم نفسها من شدة الموقف ..اختلطت مشاعرها ما بين السعادة والحزن.

فسعادتها اكتملت برجوع يوسف إلى الله ولكن يتفطر قلبها على أخيها لأن قلبه ينبض باسم صديقتها مريم

ولكن هيهات هيهات أين مريم؟ الآن تخشي حفصة أن يكون أصابها مكروه فلا تملك لها غير الدعاء.

- خلاص بقي يا يوسفأول حاجة تجبهالي أيس كريم عشان أسامحك وكل ماترعلني تجيبلي حاجة

وبعدها هنسى علي طولقالتها سديم محاولة تهدأته بمزاحها.

اعتدل في جلسته قائلاً:

- حاضر ياسديم ... أنتِ تؤمري بس ممكن نروح نفطر مع بابا وماما وحشتني اللمة.

اكتملت فرحة الأبوين عندما رأيا ابنتهما بصحة جيدة لتعم السعادة أركان المنزل.

يصل يوسف إلى الجامعة ويلاحظ الجميع وجه التغير الذي طرأ عليه ... لم يبال بأصدقاء السوء توجه إلى مكان المحاضرات والعيون تلاحقه غير مصدقة أن هذا يوسف ... أصبح التزامه بحضور المحاضرات من اهتماماته الأولية

انتهت المحاضرة ومعها يُرفع أذان الظهر ...

يتجه يوسف إلى المسجد الذي لم يدخله من قبل وما زالت العيون تلاحقه فلم يصدق أحد أن هذا هو يوسف ولكن أمره بين الكاف والنون وليس ذلك علي الله بعزير ...

الفصل الرابع والعشرون

(بداية مع الله)

أنهي يوسف صلاته ليتفاجأ بمن يلقي عليه السلام:

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

قالها يوسف وهو ينظر نحو من ألقى عليه السلام تفاجأ يوسف بذلك الوجه الذي يشع منه نوراً ... وتلك اللحية التي تزيد من هيئته .. شعر يوسف بارتياح لذلك الشخص فلقد ألقى الله في قلبه محبة له ..

- أنا أول مرة أشوف حضرتك .. بس والله حبيتك في الله وما شاء الله وشك تحس فيه نور

- أنا؟ ... ربنا يكرمك ده بس من ذوق حضرتك أنا يوسف في الثالثة مدني.

شعر يوسف كأن الله أرسل له من يعينه علي طاعته ...

- وأنا أواب ... في الثالثة هيدروليك وبلاش حضرتك ديه إحنا صحاب ولا إيه؟

- آه طبعاً إن شاء الله ... يشرفني طبعاً .. بس معلى يعني إيه معني اسمك؟

- من غير معلى ماتخافش، قالها أواب مازحاً ثم تابع قائلاً:

- أواب يا يوسف يعني كثير الرجوع إلى الله وديه صفة سيدنا داوود ... بس اسم مش على مسمى ربنا يسامحنا.

طال الحديث بين يوسف و صديقه الجديد أواب شعر كل منهم بأنه وجد ضالته التي كان يبحث عنها ..

سرعان ما تصل الأخبار إلى فادي عن طريق تلك الشيطانة التي تدعى هايدي.... كان فادي أسيراً في حبها يفعل كل شيء من أجلها... كانت تُمنيه من نفسها... ولكن هذا ليس هدفها بل هدفها هي تدمير يوسف عن طريق تلك الدمية التي تستخدمها التي تدعى فادي.

- طيب أنا عملت اللي عليا... عاوزاني أعمل إيه تاني؟ قالها فادي بنبرة ترجّ.

- معرفش أتصرف... فكر في اللي هان حبيبتك ولا أنا مش حبيبتك قالتها هايدي بنبرة جعلت ذلك البركان الخامد يثور بداخل فادي....

استكملت سديم عافيتها وتذهب إلى جامعتها فلقد اقتربت الامتحانات... قابلت هناك صديقتها إسراء ولكنها لاحظت شيئاً غريباً عليها.

- مالك يابنتي في إيه؟

- مافيش... مصطفى عاوز يجي يتقدم بس خايف ليترفض قالتها إسراء بنبرة تغمرها الحزن.

- إنتي لسه بتكلميه عالفيس... مش اتفقنا تسيبي كل حاجة على ربنا، قالتها سديم معاتبة لإسراء.

- هو بعث رسالة من إيميل جديد عشان عملا له بلوك... هو طلب مني كدا بس مردتش عليه.

- بصي قوليله إحنا اتفقنا إننا هنسيب الأمر كله لله وهو لو واثق في ربنا وبحبك بجد هيعمل كدا.

تعلم سديم مدى حب إسراء لمصطفى ومدى صدق الآخر في طلبه ولكن رضا الله أقرب.

يتجدد اللقاء كل يوم بين يوسف وصديقه الجديد أواب... أصبح المسجد مكانهما المفضل.

- على كدا يا أواب نفسك في إيه؟

- نفسي أدعو إلى الله.. أبقى داعي إلى الله... نفسي ربنا يرشدني إلى الطريق ده.... ثم أتبعه يوسف قائلاً:

- و أنا كمان نفسي ألف العالم أدعو إلى الله.. نفسي أعرف أتكلم عن ربنا بس.

- إزاي ديه بقي بتاعة ربنا إحنا ندعي ربنا يعلمنا بس..... قالها أواب ليوسف ثم أتبع قائلاً:

ناقص أسبوعين على الفاينال ربنا يستر قلقان أوي.

يطمئنه يوسف ويقول:

- ربنا مش هيزيع تعبك يا أواب ..

تصل إسراء إلى منزلها ثم تقوم بإرسال رسالة إلى مصطفى تخبره بما قالتها لها سديم..... من ناحية أخرى يري مصطفى رسالتها مما زادته تمسكاً بها....

تتصل إسراء بسديم لتخبرها عما فعلت.

- صدقيني يا حبيبتي ربنا هيكرمك والله.

- الحمد لله ضميري مرتاح عشان برضي ربنا.

بعد مرور شهر يجلس يوسف وأواب في المسجد...زادت المحبة بينهما إلى أبعد الحدود بدأ يوسف بالحديث قائلاً:

- معقولة آخر يوم امتحانات وهتيجي الأجازة خلاص.

- شوفت بقىبس عاوزين نستغلها صح إن شاء الله.

- الله المستعان يا أواب.

وبعد توديع الصديقين بعضهما...يعلو صوت رنين هاتف سديم لتجد المتصل أياها.

- السلام عليكمحبيبي طمني عملت إيه؟

- وعليكم السلام ...الحمد لله ياسديم امتياز إن شاء الله ..المهم إنتى فين؟

- لسه هخرج من الكلية.

- طيب أنا عزمك على الغدا...ممكن تتكرمي وتقبلي عزومتي المتواضعة.

تعم الفرحة قلب سديم فهي لم تصدق ماسمعه للتو...

- بجد يا يوسفالله بقي...مستنياك يا حبيبي أهو.

يصل يوسف ويقف أمام بوابة الكلية...تخرج سديم بعد أن هاتفها أخوها يخبرها أنه بالخارج، ولكنها تجد

يوسف واضعاً يده خلف ظهره كأنه يخفي شيئاً ما تفاجأت سديم بباقة من الورد التي تعبر عن مدى

حبه لها ليتفاجأ يوسف بفعل غير تلقائي منها عندما ارتمت بين ذراعي أخيها....

قبل يوسف رأس أخته ثم قام بفتح باب السيارة لها:

- اتفضللي يامولاتي.

تقوم سديم بتقمص دور الأميرة وتركب بجانبه وتقول:

- بسرعة يا ولد جعانة بدل ما أرفدك.

تتعالى ضحكات يوسف من كلام أخته لينطلقا قاصدين وجهتهما ولكن كانت هناك عيون تلاحقهما

- شايف اللي أنا شايفه؟، قالها أحد الشباب ناظراً إليهما:

- آه شوفتوعملالي فيها الشيخة.

يغلي الدم في عروق ياسر من سماعه لحديث أصدقائه لينفجر قائلاً:

- يا جدعان ده أخوها يوسف يعني مش حد غريب.

- وإنت عرفت إزاي يا عم ياسر؟

- أختي صحبتها و كنت بفكر أتقدملها بس عندهم ظروف فأجلتها شوية.

وفي أحد الأيام يدخل يوسف مسجد غير مسجده الذي اعتاد الصلاة فيه لأداء صلاة العشاءأقيمت الصلاة وبعدها قام أحد المشايخ وكأنه سيقول شيئاً ما ..بدأ الشيخ في الكلام عن الله وعظمة الله وقدرته قائلاً:

- الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا اللهوالله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا ..أعظم ما في خزائن الله هي الهداية فمن أراد الله أن يهديه هياً له الأسباب وكلّ منا مسؤول عن دينه ..تخيل أخي وحبيبي في الله أنك ستحاسب أمام الله و تُسأل عن دين الله فأخبرني بالله عليك ماذا